مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية

اسم المقال: مملكة يوغندا في عهد الكاباكا موتيسا الأول 1857 - 1884
اسم الكاتب: د. محمد مثكال الحجي
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/10420
تاريخ الاسترداد: 2026/11/22 16:44 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

مجلة جامعة دمشق للدراسات التاريخية المجلد 148 العدد2
(2024): 194- 226

Damascus University Journal of Historical Studies. Vol. 148 No. 2 (2024): 194 - 226

مملكة بوغندا في عهد الكاباكا موتيسا الأول 1857-1884

د. محمد مثكال الحجي[1]

[1] مدرس في قسم التاريخ، تاريخ افريقيا جنوب الصحراء، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة دمشق.

muhamad2.alhaji@damascusuniversity.edu.sy

الملخص:

يسعى هذا البحث إلى تقصي التطورات التي عرفتها مملكة بوغندا على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في القرن التاسع عشر، في عهد أبرز ملوكها إثارة للجدل الكاباكا موتيسا الأول الذي حكم هذه المملكة مدة تقارب الثلاثة عقود. ووصل في عهده أوائل الرحالة والمغامرون الأوروبيون إلى المنطقة، وأبرزهم سبيك وستانلي اللذان قدما معلومات هامة عن هذه البلاد وملكها؛ الأمر الذي أدى إلى إثارة الاهتمام الدولي بهذه المنطقة، وجعلها محط أطماع دول أوروبا الكبرى آنذاك.

تاريخ الإيداع :2023/7/10
تاريخ القبول: 2023/7/25

حقوق النشر: جامعة دمشق – سورية، يحتفظ المؤلفون بحقوق النشر بموجب الترخيص CC BY-NC-SA 04

الكلمات المفتاحية:

شرق إفريقيا، بوغندا، كاباكا موتيسا، القرن التاسع عشر.

ISSN: 2789-7478 (online)
http://journal.damascusuniversity.edu.sy/

Kingdom of Buganda during the reign of Kabaka Mutesa I 1857-1884

Dr. Mohammad Mithkal Alhaji[1]

[1]Lecturer in the Department of History, History of Sub-Saharan Africa, Faculty of Arts and Human Sciences, University of Damascus.

muhamad2.alhaji@damascusuniversity.edu.sy

Received: 10/7/2023
Accepted:25 /7/2023

Copyright: Damascus University- Syria, The authors retain the copyright under a CC **BY- NC-SA**

Abstract:

This research seeks to investigate the developments of the Kingdom of Buganda at all political, economic, social and religious levels in the nineteenth century, during the reign of its most controversial king, Kabaka Mutesa I, who ruled this kingdom for nearly three decades, and during his reign the first European travelers and adventurers arrived in the region. Most notably Speke and Stanley, who provided very important information about this country and its king, which led to arousing international interest in this region and making it the focus of ambitions of the major European countries at the time.

Key Words: East Africa, Buganda, Kabaka Mutesa, The Nineteenth Century.

المقدمة:

شاع في الدراسات المتعلقة بتاريخ أفريقيا أن هذه القارة بلا تاريخ أو حضارة يُعتد بها، وأن تاريخها الخاص قد بدأ مع اتصالهم بالأوروبيين الذين ينسب إليهم الفضل في تمدين هذه القارة، ونشر الحضارة والثقافة في ربوعها، وربطها بالعالم المتمدن. وأصبحت هذه الأقاويل ركيزة أساسية في الدراسات الإفريقية، لاسيما الأوروبية منها ناسين أو متناسين ما أودت به أعمالهم في هذه القارة من تدمير وتخريب وطمس لمعالم تلك الممالك والحضارات المميزة التي قامت فيها، وكان لها نظمها وقوانينها وعاداتها وتقاليدها التي طورتها بنفسها في أماكن متعددة داخل القارة بعيداً عن أي تأثير خارجي.

لذا تدور إشكالية الدراسة حول إحدى الممالك التي عرفتها القارة الإفريقية؛ وهي مملكة بوغندا التي هيمنت على منطقة البحيرات الكبرى في شرقي إفريقيا طوال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر، وكان لها من المركزية والتنظيم درجة أعجبت الرحالة الأوروبيين الذين وصلوا إليها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ورفضوا – نتيجة لاعتقادهم المسبق أن هذه القارة يعمها الجهل والتخلف والهمجية– فكرة وجود مثل تلك الحضارة فيها. وتقديمها كمثال على أهمية وتطور الحضارة التي عرفتها القارة الإفريقية، مع معرفة المدى السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي وصلت إليه مملكة بوغندا مقارنة بمحيطها الإقليمي، وتقدير أثر النفوذ العربي والغربي فيها. وكانت هذه المملكة قد انفتحت في عهد ملكها موتيسا الأول (1838–1884) على العالم الخارجي، وشهدت العديد من الأحداث المهمة التي غيرت وجه المنطقة، ومهدت تدريجياً لخضوعها للحكم الأجنبي إسوة ببقية الممالك المحلية على اختلاف مسمياته سواء منه البريطاني أو الفرنسي أو الألماني. وكانت مملكة بوغندا موضوع البحث من نصيب البريطانيين الذين أعلنوا حمايتهم عليها في العام 1894. أما هدف هذا البحث فهو الحديث عن الأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية في مملكة بوغندا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ورصد التطورات التي عرفتها المنطقة في تلك المرحلة حتى وفاة الكاباكا موتيسا الأول في العام 1884. وتأتي أهميته من خلال تسليط الضوء على ما شهدته هذه المملكة من تطورات قبل ومع بدايات التغلغل الغربي الذي أدخلها في مرحلة صراع لم تعهده من قبل.

أولاً: الموقع والامتداد:

تقع مملكة بوغندا في المنطقة الجنوبية الوسطى من البلاد المعروفة اليوم باسم جمهورية أوغندا[1] على الزاوية الشمالية الغربية لبحيرة فكتوريا من منبع نهر النيل في الشمال الشرقي إلى مصب نهر كاجيرا في الجنوب الغربي[2]. وكان يحدها من الشرق مملكة بوسوغا (Busoga)، ومن الشمال بحيرة كيوجا، ومن الشمال الغربي مملكة بونيورو (Bunyoro)، ومن الغرب مملكتي تورو (Toro) وأنكولي(Ankole)، ومن الجنوب الغربي مملكة كاراغوي (Karagwe) (أنظر ملحق 2). وشكلت هذه الممالك فيما قبل القرن الثامن عشر ما عرف بـ مملكة كيتارا (Kittara) (أنظر ملحق1) التي سيطرت تحت حكم سلالة باشويزي (Bachwezi)[3]، وبابيتو (Babito)[4] على منطقة البحيرات الأفريقية الكبرى بأكملها بين القرنين الرابع عشر والسابع عشر، وكانت بونيورو مركز هذه الإمبراطورية القديمة، ولكن منذ القرن السابع عشر أخذت القوة العسكرية في بونيورو تتراجع تدريجياً مقابل تصاعد قوة بوغندا التي واصلت توسعها الإقليمي حتى أصبحت في سبعينيات القرن التاسع عشر المملكة الأكثر قوة واتساعاً في منطقة البحيرات الأفريقية، لاسيما بعد اعتماد جيشها على الأسلحة النارية التي تزود بها من التجار العرب والسواحليون[5].

ويصف الرحالة ستانلي[6] هذه المملكة؛ بأنها كانت على شكل هلال طوله 300 ميل، وعرضه 60 ميل ملتف حول بحيرة فيكتوريا، وتغطي مع الجزر التابعة لها مساحة إجمالية تبلغ 30,000 ميل مربع. ومع احتساب مساحة بلدان أونيورو، وأوكيدي، وأنكولي

---

[1] – دولة حبيسة تقع في شرق وسط إفريقيا بين دولة كينيا من الشرق، وجنوب السودان من الشمال، والكونغو الديمقراطية من الغرب، ورواندا من الجنوب الغربي، وتنزانيا من الجنوب. وأخذت أسمها من هذه المملكة التي شملت جزءاً كبيراً من جنوب البلاد.

[2] - Low, A. (2009). Fabrication of Empire the British and the Uganda Kingdoms 1890–1902. Cambridge University Press. Cambridge. p58. Wrigley, C. (1996). Kingship and State: The Buganda Dynasty. Cambridge University Press. Cambridge. p59.

[3] – سلالة ملوك بونيورو شبه الأسطورية التي يُعتقد بانحدارها من نسل الآلهة، إذ يُعتقد أن إيسيمبوا Isimbwa؛ أول ملوك باشويزي قد ولد في العالم السفلي، وأن ابنه أو حفيده وامارا Wamara قد اختفى في البحيرة التي تحمل اسمه بعد أن سمى أسرة بابيتو كخلفاء له، ويرتبط إدخال صناعة الحديد بها. Pirouet, Louise (1995). Historical dictionary of Uganda. The Scarecrow Press. Metuchen, p51.

[4] – سلالة ملوك بونيورو التي خلفت سلالة باشويزي الأسطورية، جاءوا وفقًا لأساطير باشويزي من الشمال، ويتفق معظم المؤرخون على أنهم من أصل نيلي، أدخلوا معهم ثقافة تربية الماشية إلى بونيورو. ويقال إنهم استولوا على الطبول الملكية، وغيرها من شعارات أسرة باشويزي. Pirouet, Historical dictionary of Uganda, p51.

[5] - Peers, C. (2003). Armies of the nineteenth century: east Africa, Tribal and Imperial armies in Uganda, Kenya, Tanzania and Zanzibar 1800 to 1900. foundry publication. Nottingham. p35. Dunbar, A. (1965). A History of Bunyoro-Kitara. East African Institute of Social Research, Oxford University Press. London. p2.

[6] – هنري مورتون ستانلي (1840–1904): صحفي ومستكشف أمريكي من أصول بريطانية، عمل في صحيفة نيويورك هيرالد الأمريكية، وذاع صيته بعد الرحلة التي قام بها في شرقي إفريقيا في العام 1871 بحثاً عن لفنجستون، كما قام برحلة أخرى في العام 1874؛ التقى فيها بملك بوغندا الكاباكا موتيسا، وساهم في نشر المسيحية في بلاده، ورحلة ثالثة في العام 1887؛ لإغاثة أمين باشا حاكم المديرية الاستوائية، وكان له دور كبير في تمهيد للاستعمار البلجيكي في الكونغو، ونشر تفاصيل رحلاته في عدة مؤلفات: How I Found Livingstone، Through the Dark Continent، "In Darkest Africa"، The encyclopedia Britannica a dictionary of art, sciences, literature and general information (1911). 11ed, New York, v25, p779-781.

التي تعترف بالتبعية الأسمية لموتيسا وتدفع له الجزية بشكل غير منتظم إلى حد ما، والبالغة نحو 40،000 ميل مربع يصبح النطاق الكلي لإمبراطوريته حوالي 70،000 ميل مربع[7]. وتبقى هذه الأرقام تقريبية أوردها الرحالة دون مسح دقيق لمساحة كل منطقة، كما أنها تشكل بمجموعها ما يقارب 75% من مساحة دولة أوغندا الحالية البالغة 93100 ميل مربع. وتميزت هذه المملكة بتضاريسها الطبيعية المتنوعة من غابات، ووديان، وبحيرات، ومستنقعات مغطاة بنبات البردي، وتلال خضراء متموجة، وبأمطارها الغزيرة على مدار العام رغم وجود موسمان مطريان: الأول خلال أشهر آذار ونيسان وأيار، والثاني في شهري أيلول وتشرين الأول، فضلاً عن درجة الحرارة المعتدلة فيها طوال السنة، والتي تتراوح بين 60-85 درجة فهرنهايت (16-29 درجة مئوية)، وذلك على الرغم من وقوعها على خط الاستواء؛ ويرجع سبب ذلك لارتفاعها عن مستوى سطح البحر بحوالي 4000 قدم[8]، مما أكسبها هذا المناخ المعتدل بالإضافة إلى وجود المسطحات المائية التي تشكل جزءاً كبيراً من مساحة البلاد.

ثانياً: نظام الحكم والإدارة في مملكة بوغندا:

تميزت مملكة بوغندا عن غيرها من بلدان شرق ووسط أفريقيا بوجود حكومة متطورة، وتنظيم سياسي واجتماعي جيد نسبياً في منطقة بعيدة عن التأثيرات الخارجية؛ الأمر الذي كان مثار إعجاب الرحالة والمبشرين الأوروبيين لدرجة أنهم عزو هذا التنظيم والتطور إلى مؤثرات خارجية (حبشية أو مصرية). وكان نظام الحكم السائد فيها نظام ملكي قائم على وراثة العرش، ويطلق على الملك الحاكم فيها لقب (الكاباكا)؛ وهو القائد الأعلى في المملكة، وتشمل صلاحياته تعيين رؤساء المقاطعات، وفرض الضرائب، والفصل في القضايا المختلفة، وشن الحروب، وتوزيع الأراضي. أما ولي العهد فيتم اختياره من بين الأمراء من أبناء الملك الراحل في حين يوضع البقية تحت الحراسة؛ لمنع أي فرصة للمكائد والمؤامرات. وفي حال كان الأمير المنتخب قاصراً تتولى الأم (N'yamasore) توجيه الأمير المنتخب في إدارة البلاد. ويلي الملك في سلم الإدارة كاتيكيرو (Katikiro) الذي شغل منصب

[7] - Stanley, H. (1899). Through the Dark Continent. George Newness. London. v1. p314.
[8] - Wrigley, Kingship and State, p59. Tucker, A. (1908). eighteen years in Uganda and east Africa. Edward Arnold publisher. London. v1, p93.

رئيس الوزراء ونائب الملك. ثم مجلس مكون من رؤساء المناطق والمقاطعات العشر[9] التي تتألف منها مملكة بوغندا؛ يطلق عليه اسم لوكيكو (Lukiiko)، فضلاً عن ضباط آخرين من ذوي الرتب العالية، ويليهم عدة طبقات من الرؤساء الفرعيين. ويتم تحديد التسلسل الهرمي للإدارة في المملكة وفقاً للسلطة التي يمنحها الملك لمرؤوسيه[10].

ويجلس الملك على عرشه تحيط به الحاشية على شكل نصف دائرة، ويتولى إدارة شؤون بلاده؛ بإرسال الجيوش لنهب البلدان المجاورة أو إخضاع المتمردين من رعاياه، وإصدار الأحكام في القضايا المختلفة، ومعاقبة المخالفين. وكانت أبرز العقوبات المعروفة الموت أو الغرامات من الماشية أو الطيور أو الأسلاك النحاسية، كما يتم تقديم العذارى الشابات من قبل آبائهم تكفيراً عن بعض مخالفاتهم؛ لملء حريم الملك. ويتلقى الملك الأتاوات والهدايا من ملوك البلدان المجاورة، ومن التجار القادمين إلى بلاده أو من رعاياه كل حسب إنتاجه، ولا يُقبل شيء دون فركه ووضعه على الوجه للتأكد من خلوه من أي سحر. ويتوجب على جميع القادة ورؤساء المناطق والمقاطعات الحضور إلى بلاطه بشكل دوري لضمان ولائهم، وهناك مراسم محددة تراعى عند وقوفهم بين يدي الملك؛ تتمثل بارتداء الزي الملائم، والاقتراب منه بعيون منكسرة وركبتين منحنيتين، وتجنب النظر إلى نسائه، وأي مخالفة لذلك قد تكون عقوبته الموت. وتُستكمل صورة البلاط بمجموعات الخدم المشرفين على نقل الرسائل الملكية، وقارعي الطبول والموسيقيين، والمشعوذين، والمهرجين، والحاشية، والحراس الشخصيين، وحاملو الراية، فضلاً عن الرموز والشعارات الوطنية للمملكة المتمثلة بـ الكلب، والرمحان، والدرع. وكما اتصف نظام البلاط الخارجي بالصرامة فإن النظام الداخلي لم يكن بأقل شدة؛ إذ وجدت قوانين صارمة للمحافظة على الاحتشام في اللباس، وكانت عقوبة الإعدام نصيب من يتجرأ على ارتكاب أي خطأ حتى لو كانت إحدى زوجات الملك[11].

[9] – ضمت مملكة بوغندا عشرة مقاطعات وهي: بودو (Buddu) في الجنوب الغربي، وسينغو (Ssingo) في الشمال الغربي، وبوليميزي (Bulemeezi) في الشمال، وكياغوي (Kyaggwe) في الشرق، وموكوتا (Mawokota) على الساحل، وبوتامبالا (Butambala)، وغومبا (Gomba)، وبوسوجو (Busujju) في الداخل، ومقاطعتي بوسيرو (Busiro) وكيادوندو (Kyaddondo) في المركز. Wrigley, Kingship and State, p63.

[10] - Johannessen, C. (2006). Kingship in Uganda the role of the Buganda kingdom in Ugandan politics, Michelsen institute, p2. Speke, J. (1864). Journal of the Discover of the Source of the Nile. Harper brothers' publishers, New York, p249. Stanley, Through the Dark Continent, 1v, p148.

[11] -Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile, 251-253, 284. Burton, R. (1860). the Lake Regions of Central Africa. Longman, Green, Longman and Roberts. London. v2. p192-193. Stanley, Through the Dark Continent. v1, p321.

وباختصار كان نظام الحكم في مملكة بوغندا يعد نظاماً مثالياً وفقاً للأفكار والمعتقدات الإفريقية السائدة في ذلك العصر، ولم يفتقر لأي شيء من مظاهر الملكية والسلطة سواء من حيث القصر الكبير، والعرش، والحريم الكبير، والعدد الكبير من الرؤساء والأتباع، والالتزام الصارم بالنظام والقوانين المتبعة في المملكة من قبل الرعية.

ثالثاً: الكاباكا موتيسا الأول (Muteesa I) (1838–1884):

اسمه الأصلي موكابيا والوجيمبي (Mukaabya Walugembe) (في حين أورد الرحالة ريتشارد بيرتون أن أسمه كان قبل تولي العرش سامونجي (Samunjii). اعتلى عرش بوغندا في التاسعة عشر من عمره خلفاً لوالده سونا (suna) متخذاً من موتيسا اسماً له، وهو الاسم الذي أصبح معروفاً به للعالم الخارجي. وحكم بوغندا بين عامي (1857–1884)، وكان أبرز ملوكها في القرن التاسع عشر[12]. ولم يكن موتيسا الأكبر بين أخوته، كما لم يكن المفضل بينهم لأبيه، وإنما ساعدته الظروف على تولي عرش بوغندا. فوالده سونا كان قد أوصى بابنه الأكبر كاجومبا (Kajumba) كخليفه له، لكن الأخير لم يكن مفضلاً لدى قادة والده؛ لأنه اتصف بالقوة والعنف والتهور، لذلك قاموا بسجنه، واختاروا الصبي المعتدل موتيسا، ونصبوه ملكاً لبوغندا. وما إن استتب الأمر لموتيسا حتى كشف عن وجهه الحقيقي فقام أولاً بالتخلص من جميع إخوته ثم تلا ذلك انقلابه على الذين انتخبوه ملكاً، وتخلص منهم حتى لم يبق من يدين بالسيادة له، ومن هنا اشتهر بسطوته وإرهابه لشعبه كما وصفه سبيك[13] في العام 1862[14]. ولكن هذا الملك لم يبقى على هذا الحال والسمعة، وإنما عرفت شخصيته تطوراً ملحوظاً في السنوات التي سبقت وصول ستانلي إلى المملكة في العام 1875.

وهناك روايتان وصفتا شخصية الكاباكا موتيسا، الأولى تعود لسبيك والثانية لستانلي والفارق بين زمن سردهما 13 عاماً تقريباً. فعندما كان موتيسا يبلغ من العمر خمسة وعشرون عاماً زاره سبيك وكان ذلك في العام 1862، وجاء في وصفه؛ "***أنه شاب طويل***

[12] - Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p270-271. Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p284. Burton, the Lake Regions of Central Africa. v2, p188-189.

[13] – جون سبيك (1827–1864): رحالة ومستكشف بريطاني، خدم في الجيش الهندي، وتنقل في أجزاء مختلف من الهند، ورافق ريتشارد بيرتون في رحلته في أراضي الصومال عام 1854، ثم رافقه في رحلة أخرى في شرق إفريقيا في العام 1858. وقام برفقة جميس جرانت برحلة ثالثة في العام 1860 تمكن خلالها من اكتشاف منابع نهر النيل، ونشر تفاصيلها في كتابه "Journal of Discovery of the Source of the Nile " الصادر عام 1863. the encyclopedia Britannica. v25, p633..

[14] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p295-296.

القامة، حسن المظهر، مقصوص الشعر باستثناء الجزء العلوي، وكان يرتدي في عنقه حلقة أنيقة من الخرز، وعلى إحدى ذراعيه حلية تم تصميمها بشكل جميل، وفي اليد الأخرى سحر خشبي مربوط بخيط مغطى بجلد الثعبان، وفي أصابع يديه وقدميه خواتم وحلقات نحاسية، وفوق الكاحلين حلقات جميلة من الخرز، ويرتدي ملابس مصنوعة بشكل جميل من لحاء الأشجار، ويحمل في يده قطعة مصنوعة من اللحاء، وأخرى من الحرير المطرز بالذهب يستخدمها كمنديل"[15]، (انظر الملحق 3) أما عن سلوك موتيسا فيتابع سبيك أنه كان ذو تصرفات صبيانية عابث ومتقلب المزاج، عديم الرحمة وطاغية قاتل عامل شعبه بكل قسوة وبطش. وأورد سبيك بعض المواقف التي كان شاهداً عليها، وأبرزها عندما أهداه سبيك بندقية، فأعطاها موتيسا لتابع له طالباً منه تجريبها بإطلاق النار على رجل ما في الساحة الخارجية، وتم تنفيذ الأمر دون أي اهتمام من الملك بخصوص الشخص الذي فقد حياته، وكذلك أمره بجلد إحدى زوجاته دون سبب واضح، وإعدام أخرى خلال إحدى نزهاته لأنها تجرأت على التقاط إحدى الثمار وتقديمها له. وكذلك حكمه بالموت على الرجل المسن الذي أخفى فتاة هاربة من سوء المعاملة. وأمره بإعدام أحد الضباط في بلاطه خلال توزيع الغنائم؛ لأنه سأله زيادة على ما منحه[16]. وكان سبيك حريصاً على عدم التدخل في أي من أعمال الملك الوحشية باستثناء مرة أو اثنتين؛ لأنه على الأرجح كان يقوم بمثل هذه الأعمال في بعض الأحيان إرهاباً لضيوفه وإظهاراً لقوته وسطوته.

في حين جاء وصفه لدى الرحالة ستانلي الذي زاره في العام 1875، ""**أنه رجل طويل القامة، نحيف، كبير العينين، ممتلئ الشفتين، حليق الرأس، لونه بني أحمر داكن مع جلد أملس رائع، يتمتع بملامح ذكية ومقبولة، وذو ملامح ناعمة مصقولة خالية من التجاعيد في عمر بين الخامسة والعشرون والخامسة والثلاثون، ويرتدي طربوشاً ورداءً أسودً فوق قميص أبيض مع حزام مذهب، وقدماه عاريتان مستقرتان على جلد النمر بالقرب منها زوج من النعال التركية قرمزية اللون، ويمسك في يده**

[15] - Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. p284.
[16] -Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. p:290, 337, 350, 364, 378.

اليمنى بسيف عربي مذهب بينما تمتد اليسرى على ركبته اليسرى مذكراً بواحدة من وضعيات رمسيس في طيبة[17]. (الملحق4)

وفي هذا الوصف نلاحظ أن ملامح الكاباكا موتيسا الجسدية لم تختلف كثيراً عما جاء لدى الرحالة سبيك، ولكن يلاحظ ازدياد التأثير العربي من خلال ارتدائه للطربوش العماني، وتقلده السيف العربي، وانتعاله زوج من النعال التركية، والأرجح أنه تأثير اقتصادي تجاري بفعل التجار العرب القادمين من زنجبار. وكذلك التأثير السياسي التركي- المصري إلى حد ما بفعل الحملات التوسعية في عهد الخديوي إسماعيل. ويلمح ستانلي للجذور الخارجية لأصول الحضارة والنظام الموجود في مملكة بوغندا من قوله بالتشابه الموجود بين ملامح الكاباكا موتيسا وتماثيل رمسيس في طيبة، وكان سبيك قد أشار إلى ذلك عندما أبدى إعجابه بالنظام القائم في هذه المملكة، وعزى وجوده إلى التأثير الخارجي ورجح أن يكون أصول حكام هذه المملكة من الأحباش والجالا بالذات. كما أبدى ستانلي اعجابه الشديد بسلوكيات الكاباكا موتيسا، ووجده مختلفاً تماماً عما وصفه سبيك، وقال: بأنه أمير رزين ومتزن، لطيف وودود، ذكي في ملاحظاته وأسئلته، ويرتدي وحاشيته ملابس جميلة وأنيقة، ويتمتع بنفوذ كبير على جيرانه، وأبدى إعجابه بالنظام والقانون المعمول بهما في المملكة[18].

لم يأت هذا التغير في شخصية وسلوكيات الكاباكا موتيسا من فراغ، ويعزا السبب إلى نضج الكاباكا موتيسا، واطمئنانه إلى استقرار حكمه بعد أن أصبح السيد المطلق في البلاد، ولم يعد يوجد من ينازعه سلطانه. ويرجع من جهة أخرى إلى تأثره بالحضارة الإسلامية القائمة في زنجبار، وتواصله مع التجار العرب والمسلمين القادمين منها، واعتناقه الإسلام مع عدد كبير من حاشيته، مما كان له فضل كبير في الحد من سلوكيات الملك المستبد الذي وصفه سبيك، وأصبح بعد ذلك أكثر إنسانية، وامتنع عن المشروبات المحلية، وتخلى عن تقاليد آبائه بإراقة الدماء. كما تعلم من هؤلاء التجار المسلمين اللغة العربية والسواحلية، بل وأصبح يرتدي الزي العربي في بلاطه بشكل دائم[19].

[17] - Stanley, Through the Dark Continent. v1, p:151, 153, 310.
[18] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p152-153.
[19] - Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p270. Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p152, 296

رابعاً: الأوضاع السياسية والعسكرية في مملكة بوغندا في عهد الكاباكا موتيسا 1857–1884:

كانت المرحلة الأولى من حكم الكاباكا موتيسا استمراراً لعهد والده سونا من حيث القسوة والتعسف في تعامله مع رعاياه على صعيد الداخل، وإرسال الحملات العسكرية التقليدية لمعاقبة المتمردين أو لإخضاع البلدان المجاورة، وجمع العبيد والمنهوبات على صعيد الخارج[20]، إذ سرعان ما وجد أسباباً لقتل جميع إخوته، ومن ثم تخلص من الرؤساء الذين انتخبوه ملكاً لبوغندا، ومن بينهم بعض القادة العظام على عهد والده كـ ناموجوريلوا (Namujurilwa) الملقب بـ أسد الحرب، ورئيس وزرائه، ناهيك عن قتله لعدد من نسائه عندما يستبد به الغضب وتقلب المزاج. وتميز عهد موتيسا كحال سلفه بالانتصارات على العديد من البلدان مثل أنكولي، وأنيورو، وأوسوي، وأوسوغا، ووصلت حملاته حتى رواندا (Ruanda) واوزنغورا (Uzongora) على بحيرة (Muta Nzige) (ألبرت) غرباً، وحتى إقليم انياموبزي في جنوب غرب كينيا جنوباً، وحاول فرض الوصاية على مملكة أونيورو بإرسال جيشه لمساعدة كامراسي لتولي الحكم في منافسته مع أشقائه في العام 1860، وتدخل مرة أخرى ولعب دور صانع الملوك بعد وفاة كمراسي بإرسال جيشه لدعم كاباريغا (Kabarega) [21]حتى ضمن له العرش، وكانت أخر معارك موتيسا مع سكان جزيرة أوفوما (Uvuma) الذين رفضوا دفع الجزية له، وشهد الرحالة ستانلي معظم أحداثها[22].

وانفتحت البلاد في عهده على مصراعيها للمؤثرات الخارجية التي لاقت مجالاً لانتشارها بشكل تدريجي، وكانت بدايتها مع التجار العرب الذين وصلوا بتجارتهم إلى مملكة بوغندا منذ عهد الكاباكا سونا، وازداد حجم التبادل التجاري في عهد موتيسا إلى أضعاف ما كان عليه سابقاً، ودليل ذلك انتشار البضائع القادمة من زنجبار بكثرة، كالأقمشة والخرز والأسلاك النحاسية وغيرها، وانتهى الأمر بتبادل السفارات بين مملكة بوغندا وسلطان زنجبار في العام 1869. ثم تلا ذلك انفتاح البلاد على الخارج الإفريقي مع

[20] - Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p270-271.

[21]–كاباريغا (1845–1923): تولى حكم بونيورو بعد وفاة والده كمرازي في العام 1869 بمساعدة من الكاباكا موتيسا. وكان من أشد الحكام المقاومين للاستعمار البريطاني؛ إذ بنى جيشاً دائماً، وزوده بالأسلحة النارية التي حصل عليها من التجار العرب، وتصدى لمحاولات بيكر وغوردون وأمين باشا لضم بونيورو إلى مصر، ومد نفوذه حتى نهر النيل، واستعاد مملكة تورو لسيطرته، وامتد تأثيره حتى أنكولي، وتصدى للقوات البريطانية مدة سبع سنوات في حرب عصابات ماهرة وناجحة حتى تم القبض عليه في العام 1897. وتم نفيه إلى جزيرة سيشيل، وبقي فيها حتى العام 1923 حيث سمح له البريطانيون بالعودة إلى أوغندا، وتوفي فيها بعد شهرين فقط، ومع الاستقلال اعترف بـ كاباريجا بطلاً شجاعاً لتصديه للاستعمار الأجنبي. عن.Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p177-178

[22] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p296. Robert M. (2009). east Africa, an introductory history. 3rd ed. West Virginia University Press, Morgantown, p87. Peers, Armies of the nineteenth century: east Africa. p35-36.

وصول الرحالة الأوروبيين بالتتالي سبيك وجرانت ثم ستانلي وغيرهم، ثم وصول المبشرين الأوروبيين البروتستانت والكاثوليك، الأمر الذي أثار الاهتمام الدولي بهذا الجزء من القارة الإفريقية فسعت دول أوروبا الاستعمارية الكبرى لبسط نفوذها عليها. علماً أن هذه المنطقة قد أثارت قبل ذلك اهتمام الخديوي إسماعيل (1863-1879) في مصر في ذروة مساعيه التوسعية في سبعينيات القرن التاسع عشر لمد نفوذه إلى منابع نهر النيل، ووصلت حملاته إلى مملكة بونيورو المجاورة لبوغندا بعد اصطدام ممثله صمويل بيكر (حاكم المديرية الاستوائية) مع كاباريغا ملك بونيورو. وقام موتيسا إزاء هذا التهديد بتبادل السفارات مع غوردون باشا خليفه بيكر في غوندكرو (Gondokoro)[23]، واستقبل مبعوثه شاليه لونج (Chaillé Long) في العام 1874. وسعى لتوسيع اتصالاته الخارجية وهذا ما يفسر ترحيبه باستقبال المبشرين في بلاده، وقبوله دعوات المبشرين البريطانيين لإرسال سفارة إلى إنجلترا في العام 1879، كما تلقى هدايا من الملكة فيكتوريا، ولم يهدأ باله حتى زوال التهديد المصري في ثمانينيات القرن التاسع عشر بقيام الثورة المهدية في السودان وفشل مخططات الخديوي إسماعيل التوسعية. وبالتالي نجح موتيسا بدبلوماسيته الماهرة في الحفاظ على مملكته قوية وسليمة رغم التهديدات الخارجية المتزايدة في أواخر عهده حتى وفاته في العام 1884 بعد إصابته بمرض السيلان[24].

ولم تأت قوة موتيسا ونفوذه الكبير وانتصاراته على البلدان المجاورة من فراغ بل من القوة العسكرية الكبيرة التي كانت في متناول يده، والتي تألفت من قوات برية وبحرية كبيرة العدد بمقاييس ذلك الوقت والوقت الحاضر أيضاً، والتي كان عمادها:

1- الجيش:

بلغ تعداد جيش مملكة بوغندا نحو 300 ألف رجل على الأرجح[25]، لكنه لم يكن جيشاً محترفاً مستعداً للقتال في أي لحظة، وإنما كان قائم على القوات التي في حوزة الملك بالإضافة إلى القوات التي يتم جمعها من القادة من مختلف المقاطعات. فعند شن حرب ما كان الملك يكلف رئيس وزرائه باختيار قادة الفرق الذين يتولون مسؤولية اختيار قواتهم الخاصة من بين رؤسائهم الفرعيين

[23]- بلدة تقع في جنوب السودان على مسافة 750 كيلومتر جنوب الخرطوم، سكانها من قبائل الباري. وصلت إليها القوات المصرية لأول مرة في العام 1841، وسرعان ما أصبحت مركزًا لتجارة العاج والرقيق. وأقيم فيها بعثة كاثوليكية نمساوية في العام 1851. وأنشأ فيها بيكر مركزاً عسكرياً في العام 1871 بعد تعيينه حاكماً للمديرية الاستوائية، وأطلق عليها اسم الإسماعيلية. سقطت في أيدي المهديين في العام 1885. واحتلتها القوات البريطانية في العام 1898.. The encyclopedia Britannica. V12, p232.

[24] - Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p270-271. Oliver, R. Atmore, A. (2005). Africa since 1800. 5ed. Cambridge University Press, p97-98.

[25] - Burton, the Lake Regions of Central Africa. v2, p189-190.

والفلاحين الخاضعين لسيطرتهم[26]. ونجد فيما أورده الرحالة ستانلي بعض التفصيل عن نظام جيش بوغندا لأنه كان شاهداً على معارك الكاباكا موتيسا مع سكان جزيرة أوفوما، فقام بعمل جرد سريع لقادة الجيش الكبار والرؤساء الفرعيين التابعين لهم، فأحصى 12 من القادة الكبار بالإضافة إلى القوات التابعة لوالدة موتيسا وحرسه الخاص (لا يقل عدده عن 3000 مقاتل)، وكان تحت إمرتهم نحو 154 من الرؤساء الفرعيين، ويتبع كل واحد منهم 50 إلى 3000 مقاتل، وقدر جيش بوغندا بنحو 125.000 مقاتل، يضاف إليها القوات التي قدمتها البلدان التابعة لها مثل كاراغوي واوزنغورا وأوكيدي وأوسوغا وجزيرة سيسي (Sesse) وغيرها من جزر البحيرة، بالإضافة إلى قوات الضيوف العرب والسواحليين الذين جاءوا مع أسلحتهم لمساعدة موتيسا، وبلغ العدد الكلي لقوات موتيسا في تلك الحرب حوالي 250 ألف مقاتل، وكان يرافق هذا الجيش عدد كبير من النساء والأطفال والعبيد لحمل الأسلحة الاحتياطية، والمؤن، والمياه[27].

أما عن سلاح هذا العدد الكبير من القوات فكانت الرماح المصنوعة من النحاس والحديد، والدروع المصنوعة من الخشب والجلد فضلاً عن الخناجر، والأقواس، والسيوف، والأسلحة المعتمدة على التمائم والسحر، بينما كان الحرس الشخصي للإمبراطور مسلح بالبنادق والأسلحة النارية التي تزود بها من التجار العرب. وكان للطبول والأبواق أهمية كبيرة في استدعاء القوات وتحركها، فطبل الحرب الكبير المغطى بالجلد يرافق الجيش دائماً أينما حل، وتميزت كل فرقة من فرق الجيش في مسيرها بضربات طبل مختلفة عن الأخرى. كما كان يتم القتال في المعركة على صوت الطبول، وكانت خسارتها وصمة عار كبيرة لذلك عين لها حراسة مشددة. أما عن لباس الجيش فقد تميز كبار الضباط بلبس جلود الفهد عن عامة المقاتلين الذين يرتدون العباءات المصنوعة من جلود البقر أو الظباء. ويدهن المقاتلون في أوقات الحرب وجوههم وأيديهم أو النصف الأعلى من أجسادهم باللون الأحمر أو الأسود أو الأصفر أو الأزرق وفقاً لذوق كل فرد[28]. ويرافق الكهنة والسحرة الجيش بشكل دائم، ويستخدمون تمائمهم وتعاويذهم خلال المعركة؛

[26] - Peers, Armies of the nineteenth century. p218-221.
[27] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p239-240.
[28] - Burton, the Lake Regions of Central Africa. v2, p189-190. Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p240-241. Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. p373-374. Peers, Armies of the nineteenth century. p245-246

للمساهمة في إخضاع العدو وإرهابه. ومن عادة الكاباكا موتيسا أن يستقبل قادته وجنوده العائدين من الحرب ويستمع إلى مآثرهم، ويقدم للمستحقين منهم المكافآت من النساء والمواشي التي تعد أعظم عناصر الثروة في بوغندا بينما يأمر بإعدام من تخاذل أو فر أمام العدو[29].

ومن أبرز نقاط ضعف هذا الجيش هو نظام النهب المتبع، إذ كان يعتاش خلال الحملات على ما يستولي عليه من الفلاحين المحليين في معظم الأحيان، مما يفسر جزئياً سبب تعثر التوسع الإقليمي للمملكة في منتصف القرن التاسع عشر؛ فبينما كان يمكن عبور مناطق مثل بوسوغا التي كانت بلداً زراعياً خصباً، وبونيورو الغنية بالماشية دون صعوبة كبيرة، ولكن تعذر استخدام هذه الاستراتيجية في سهوب شرق جبل إلغون وغيرها من مناطق البحيرة، ولا في الغابات حيث لا تتوفر المؤن. ولذلك نجد التقاليد الشفوية كثيراً ما تتحدث عن الغارات التي وصلت حتى بوروندي، ومرتفعات كينيا، وإنياموزي دون استطاعة ملوك بوغندا احتلالها بشكل دائم[30].

2- الأسطول:

تعود نواة بناء الأسطول البوغندي إلى عهد الكاباكا سونا والد موتيسا على الأرجح وربما إلى أقدم من ذلك، بحكم موقع المملكة على بحيرة نيانزا، ولحاجتهم إليه في تنمية تجارتهم عبر البحيرة؛ إذ يذكر الرحالة بيرتون بناء على المعلومات المقدمة له من قبل التاجر العربي سناي بن عامر[31]، أن الكاباكا سونا قام بنفسه ببناء أسطول صغير من السفن المكشوفة التي تشبه في شكلها السفن الحديثة للساحل السواحلي[32]، ولا توجد أرقام محددة لعدد سفن الأسطول البوغندي في ذلك العهد لندرة المعلومات المتوفرة عنه. أما في عهد الكاباكا موتيسا فقد وصل عدد سفن الأسطول الحربي وفق ما أورد الرحالة ستانلي إلى نحو 325 زورق من مختلف الأحجام، بينها 230 سفينة فعالة في الحرب يتراوح حجم أكبرها بين 50 –70 قدماً، ويوجد منها 100 زورق، وتتطلب خمسون

[29] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p256-257. Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. p251.

[30] - Peers, Armies of the nineteenth century. p221-226.

[31]– سناي بن عامر أو ثاني بن عمر: تاجر من أب عربي وأم إفريقية، أمضى خمسة عشر عاماً داخل إفريقيا، وسافر خلالها ثلاث مرات بين أونياموزي والساحل، وأبحر في بحيرة تنجانيقا، وزار مملكتي كاراغوي وبوغندا الشماليتين، وكان على دراية باللغات والديانات والإثنولوجيا الإفريقية، واستقبل العديد من الرحالة الأوروبيين لاسيّما بيرتون وسبيك في العام 1857، وسبيك وجرانت في العام 1862، وقدم لهم كل المساعدات اللازمة.Burton, the Lake Regions of Central Africa. v1,p324-325

[32] - Burton, the Lake Regions of Central Africa. v2, p174-198.

رجلاً بالمتوسط لكل منها. ويتراوح حجم الفئة المتوسطة بين 30- 50 قدماً، ويوجد منها حوالي 50 زورقاً تتطلب 40 رجلاً لكل منها بالمتوسط. بينما يتراوح حجم الفئة الثالثة بين 18-30 قدماً، ويوجد منها نحو 80 زورق، وتتطلب 20 رجل لكل منها بالمتوسط. أما بقية سفن الأسطول فهي قوارب صغيرة تصلح لحمل ثلاثة إلى ستة رجال فقط؛ أي أن هذا الأسطول يستوعب بالمتوسط نحو 9000 رجل في الأحوال العادية، ولكن عندما تحشد موارد الإمبراطورية لحرب مهمة فأنها تستوعب قوة مقاتلة يتراوح عددها بين 16- 20 ألف رجل[33]. وتعد جزيرة سيسي الواقعة قبالة مصب نهر كاتونغا (Katonga) المقر الرئيس لأسطول بوغندا حيث يعسكر فيها العدد الأكبر من سفن الملك[34]، ويقطن فيها بناة الزورق الرئيسيين، والعدد الأكبر من البحارة في إمبراطورية موتيسا. وكذلك حال سكان جزيرتي إيروجي (Irwaji)، ولولامبا (Lulamba). ويتولى القيادة العليا لهذا الأسطول القائد غابونغا (Gabunga) الأميرال الكبير للأسطول البوغندي، ويندرج تحت مسؤوليته جميع سفن بوغندا الحربية، ويليه نائبان الأول تشيكوتا (Chikwata) الذي يحكم المنطقة الواقعة بين أوسافارا (Usavara) وخليج بوكا (Buka) على بحيرة نيانزا، والثاني القائد جومبا (Jumba) الذي يحكم منطقة أونجاكو (Unjaku)، ويليهم ماجورا (Magura)؛ القائد المسؤول عن الساحات البحرية في جزيرة سيسي. وفي عهد موتيسا تقلصت سلطة القائد غابونغا بشكل كبير حتى اقتصرت على نقل أوامر القائد العام إلى قباطنته وبحارته[35].

وشهد ستانلي عدداً من المعارك البحرية التي خاضها الأسطول البوغندي ضد سكان جزيرة أوفوما؛ الذين كانوا أكثر براعة في المعارك البحرية من الباغندا، وانتصروا عليهم في أكثر من موقعة[36]، وكادت نتيجة الحرب تكون لصالحهم لولا تفوق جيش موتيسا باستخدامه السلاح الناري، وكذلك مساعدة ستانلي نفسه له لأنه كان بحاجة لإنهاء الحرب في أقرب وقت لمتابعة رحلته الاستكشافية. وبشكل عام استخدام الباغندا الأسطول كوسيلة لتنمية تجارتهم عبر بحيرة نيانزا، ولنقل القوات إلى المواقع الحربية أكثر من كونها إحدى وسائل الحرب الحديثة.

[33] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p245-246.
[34] -Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. 342-372.
[35] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p167-168,245-246. Peers, Armies of the nineteenth century. p227-228
[36] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p247-255.

خامساً: الأوضاع الاجتماعية في مملكة بوغندا في عهد الكاباكا موتيسا:

كانت مملكة بوغندا في منتصف القرن التاسع عشر الأكثر قوة واكتظاظًا بالسكان بين ممالك البحيرات الكبرى. ومع ذلك ليس من السهل تحديد عدد السكان فيها بشكل دقيق في تلك المرحلة؛ لعدم وجود إحصاءات دقيقة، إضافة إلى آثار زيادة الوفيات بسبب انتشار الأمراض، والحروب الأهلية وغيرها. وقد قدّر ستانلي عدد سكانها في العام 1876 بـ 2,775,000، علماً أنه شمل في تعداده العديد من المناطق التابعة لها اسمياً، ولكنها كانت في الواقع أقاليم منفصلة عنها مثل أونيورو وكاراغوي وأوسوي وأنكوري[37]، ويبقى الرقم السابق مجرد تخمين تقريبي للرحالة قد يكون مبالغاً فيه، وينبغي تخفيضه بمقدار النصف على الأقل ليقارب الصواب.

ويرجع أصل الباغندا إلى قبائل البانتو الزنجية التي انتشرت في كامل الجزء الجنوبي والشرقي من القارة الإفريقية بعد هجرتها من معقلها في غابات الكاميرون. وعرف القسم الذي استوطن منها في منطقة البحيرات الكبرى باسم البانتو الشرقيين الذين تأثروا تدريجياً ببعض المؤثرات الكوشية ممن كانوا يقيمون قبلهم على شواطئ البحيرات الكبرى، وبعض المؤثرات النيلية من قبائل النيلون الرعاة ممن انتشروا بعد ذلك في منطقة البحيرات، وسادت فيما بينهم لغة لوغندا[38] التي تعد إحدى لهجات البانتو[39]. ويقدم الباغندا كشعب دليلاً واضحاً على الأصل المختلط فهم يختلفون اختلافاً كبيراً في درجات لون البشرة من اللون الأسود الداكن للفلاحين إلى البني الأسمر للعديد من الطبقات العليا، ويختلف شكل الوجه اختلافاً كبيراً أيضاً؛ فهناك الأنف القصير والثخين والشفتين السميكة والجبهة المنخفضة، وهناك أيضاً الشفاه الرفيعة والأنف المستقيم والجبهة العالية. ويرجع ذلك الاختلاف إلى الاختلاط الناتج عن الهجرات المشار إليها، وربما لاتخاذ العديد من رؤساء الباغندا من نساء القبائل المهاجرة زوجات ومحظيات؛ ولذلك عزا الرحالة الأوروبيون أصول السكان في هذه المملكة لاسيما ملوكها إلى قبائل الجالا الرعاة في أثيوبيا، بسبب تركز الثروة الحيوانية بيد الطبقة الحاكمة الأجنبية على حد رأيهم بينما كان غالبية السكان الأصليين من الفلاحين[40].

والمجتمع البوغندي مجتمع طبقي بامتياز يُقسم إلى ثلاث طبقات سياسية– اجتماعية هي: الباكونغو أو طبقة الأرستقراطيين الذين كان من بينهم رؤساء المقاطعات المختلفة، وباتونجولي أو المسؤولين من ذوي الرتب المتوسطة؛ وأخيراً عامة الناس الذين عُرفوا

[37] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p315.

[38] – في لغة البانتو يشتق من الاسم عدة اشتقاقات عن طريق تغيير الأداة في بدء الكلمة الأصلية فمثلاً Ganda يشتق منها: Buganda = وتعني أرض غاندا، Baganda= وتعني شعب الغاندا، Luganda= وتعني لغة الغاندا. وايدنر، دونالد. (1976). تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء. ترجمة علي أحمد فخري والدكتور شوقي عطا الله الجمل، مؤسسة سجل العرب، مؤسسة فرانكلين، القاهرة، ج1. ص96. Harry J. A History and description of the British empire in Africa. national society's depository. London, p43.

[39] – وايدنر، تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء. ج1، ص 94–95.. Oliver, Atmore, Africa since 1800. p20

[40] -Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. p241-245. Tucker, eighteen years in Uganda and east Africa. v1, p91-98.

باسم باكوبي أو الفلاحين. كما انقسم المجتمع إلى عدد من العشائر التي تدعي النسب المشترك[41]، والتي عاش معظمها على زراعة الحبوب والمحاصيل الشجرية، والرعي، والصيد بالنسبة للعشائر المقيمة على الشواطئ الشمالية والغربية للبحيرة[42]. وكان الكاباكا زعيم نظام العشيرة ويحمل لقب ساباتاكا (Ssabataka) أي رئيس رؤساء العشائر أو الرجل الأعلى للأرض، وبذلك ارتبط الباغندا بملكهم من خلال التنظيم الاجتماعي والسياسي للمجتمع الأمر الذي يفسر الموقف القوي للكاباكا وسلطته الكبيرة على شعبه في القرن التاسع عشر[43]. وعلى الرغم من شيوع النظام الاقطاعي الطبقي في بوغندا فإن السلطة من الناحية العملية لم تكن حكراً على طبقة وراثية بل كانت مفتوحة للمواهب أو على الأقل لأي شخص يحظى برعاية الملك الذي يمكنه رفع الرجال إلى طبقة النبلاء أو خفض رتبهم حسب رغبته [44]، وكلما زاد الترقي ازدادت المكافآت التي يمكن تحصيلها من الأراضي الخصبة والنساء، ويتضح ذلك من خلال الفتيان الصغار الذين خدموا وتدربوا في قصر الكاباكا موتيسا، وخرج من بينهم النخبة الحاكمة في الجيل التالي بعد أن تدرجوا في المناصب حتى أعلاها كل حسب شجاعته وذكائه وحسن مشورته[45]. ولمزيد من الإيضاح لمعالم المجتمع البوغندي لابد من تقصي بعض صور الحياة الاجتماعية فيه كوضع المرأة في هذه المملكة بالإضافة إلى نمط العمارة واللباس السائد فيها.

1- مكانة المرأة في مملكة بوغندا:

كانت المرأة أحد مقاييس الثروة في بوغندا، ولها قيمة مادية قابلة للمقايضة مقابل أي مادة سواء كانت من القماش أو الأبقار أو الخرز أو البنادق، كما كانت تقدم كمكافئة للضباط والقادة مقابل الخدمات التي يؤدونها للملك أو كمقابل للهدايا التي ترد من زوار الملك. وكان تعدد الزوجات أمر شائع في بوغندا، إذ ضم الحريم الملكي ما لا يقل عن 500 امرأة كزوجات ومحظيات، بالإضافة إلى أضعاف هذا العدد

41 - Peers, Armies of the nineteenth century. p218--221.
42 - Robinson, D. (2004). Muslim Societies in African History. Cambridge University Press. Cambridge, p154-156.
43 - Johannessen, Kingship in Uganda. p2. Wrigley, Kingship and State. p64.
44 - Peers, Armies of the nineteenth century. p219.
45 - Wrigley, Kingship and State. p64-65.

لخدمة الأسرة الحاكمة[46]. ولا توجد مراسم مرتبطة بمسألة الزواج، إذ تُقدم النساء للكاباكا من قاداته وأتباعه في معظم الأحوال كعربون للسلام لقاء ما يقترفونه من مخالفات، أو من ملوك البلدان المجاورة كجزية، ويتم تزويد القادة في بوغندا بالنساء من قبل الملك من سبايا المعارك في الخارج أو من الضباط المتمردين في الداخل، وتعد كثرتهن دليلاً على ارتفاع الرتبة والمنزلة. وقد تباع بعض النساء في سوق النخاسة في حين يتم جلد البعض الأخر أو يخصصن للقيام بالخدمات الوضيعة في المنزل[47].

وفي سبعينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر أصبح للنساء مكانة في مركز النظام السياسي والمجتمع، بل وتدخلن في التعيينات السياسية، وعملن كمستشارات لحماية رجالهن ورفعتهم، وأصبحت نساء النخبة فاعلات في الديوان الملكي لاسيما والدة الملك الناماسول التي كانت شخصية قوية لها قصرها وحاشيتها وبلاطها الخاص في وقت مبكر من عهد الكاباكا موتيسا الأول[48].

2- اللباس في مملكة بوغندا:

كان للباغندا لباس خاص بهم عرف باسم مبوغو؛ وهو رداء مصنوع من لحاء شجرة موتوبا (Mutuba) (نوع من التين)، يتم تجريدها، وطرقها وتجفيفها في الشمس ثم يتم خياطتها حتى تعطي في النهاية مظهر القماش المنسوج، وجاء لونها بدرجات مختلفة من اللون البني، وعادة ما يرتديها الرجال بعقدها على الكتف الأيمن، وتغطي الساقين مع ترك الذراعين عاريتين بينما تلفه النساء حول الجسم مع تثبيته حول الخصر بمئزر من نفس المادة[49]. كما كانوا يرتدون بالإضافة لذلك جلود الثيران أو الظباء أو جلود الماعز البيضاء على شكل رداء فوق الكتفين أو ربطها حول الخصر، وكانت جلود النمر علامة رسمية على زعامة القبائل والدم الملكي، ولم يُسمح إلّا لرؤساء العشائر بارتدائها بعد موتيسا، وعادة ما يبقى الرجال حاسري الرأس على الرغم من أنه في وقت مبكر من العام 1862 رأى سبيك بعض المسؤولين يرتدون العمائم [50].

وكان للباس أهمية خاصة في مملكة بوغندا على خلاف محيطها من شعوب المنطقة، لاسيما في بلاط الكاباكا موتيسا الذي أقر

[46] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p241-242. Robinson, Muslim Societies in African History. p154.
[47] -Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. p339.
[48] -Reid, R. (2017). A history of modern Uganda. First ed, Cambridge University Press. Cambridge, p148.
[49] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p154. Tucker, eighteen years in Uganda and east Africa. v1, p94.
[50] - Peers, Armies of the nineteenth century. p237, 241. Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. P284.

عقوبات صارمة تصل لحد الإعدام. وأبدى الرحالة سبيك إعجابه بلباس الواغندا الأنيق وبدا أمامهم هو ورجاله بمظهر رث[51]، كما أستهزأ بعض أتباع موتيسا بأحد رجال ستانلي الذي كان لا يزال يرتدي جلد الماعز البدائي، ورفضوا السماح له بالمثول أمام الكاباكا[52]. وكان يوجد بعض الاستثناءات لتلك القواعد الصارمة للباس لاسيما أثناء الحملات، فالقادة والجنود لا يرتدون اللباس التقليدي في المعركة لأنه يقيد حركاتهم، وإنما استبدلوه بمئزر مصنوع أيضاً من قماش اللحاء. وبحلول أواخر القرن التاسع عشر أستبدل معظم القادة قماش اللحاء التقليدي بالملابس القطنية البيضاء من الطراز العربي بعد انتشارها جراء ازدياد التجارة مع زنجبار بينما بقي عامة الناس يرتدون ملابس اللحاء[53].

3- العمارة في مملكة بوغندا:

عاش فلاحو الغاندا في أكواخ صغيرة مصنوعة من الطين والقصب والأعمدة وأسقف مخروطية من القش تمتد تقريباً إلى مستوى الأرض مع باب منخفض وبدون نوافذ، وكانت أكواخهم متناثرة بشكل غير منتظم، ويوجد أمام كل كوخ فناء صغير مرفق بحدائق مزروعة بالموز والتين، بينما كانت منازل الرؤساء ذات حجم أكبر، ومبنية بشكل أفضل، ومقسمة داخلياً إلى مقصورات مفصولة بستائر من قماش اللحاء، ويحيط بها سياج من القصب، وتتكون عادة من المسكن الرئيسي، ومنازل النساء، والأولاد، والخدم، ودور الضيافة والطهي، ويوجد أمام المدخل الرئيسي ساحة كبيرة مفتوحة تعد إشارة إلى رتبة الزعيم، وكلما ازداد اتساع هذه الساحة دل على علو منزلة ساكنه[54]. أما قصر الكاباكا موتيسا فكان يقع في العاصمة روباغا[55] بالقرب من الشواطئ الشمالية للبحيرة، ويتوج قمة التل المعروف بنفس الاسم. وتبلغ مساحته ما لا يقل عن ميل واحد، وكان مقسم إلى عدد كبير من الأكواخ الدائرية العملاقة المسقوفة بأناقة بالقش، ومبنية من الأعمدة والقصب. ويحيط بالقصر سياج قوي من القصب الطويل مزود بأجراس على المداخل

[51] -Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. P280-281.
[52] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p150.
[53] - Peers, Armies of the nineteenth century. p237,241.
[54] - Tucker, eighteen years in Uganda and east Africa. v1, p96. Wrigley, Kingship and State. p62.
[55]– كان يتم نقل العاصمة في فترة ما قبل الاستعمار من وقت لآخر؛ إذ كانت كانت كيبوجا (kibuga)عاصمة الكاباكا سونا، وروباغا (Rubaga) عاصمة الكاباكا موتيسا الأول، ومينجو (Meng) عاصمة الكاباكا موانجا، وخلال الفترة الاستعمارية كانت عنتيبي (Entebbe) هي العاصمة، بينما أصبحت كمبالا (Kampala) هي العاصمة الحديثة لأوغندا بعد الاستقلال. Pirouet, Historical dictionary of Uganda. P187, 251, 321

المتعددة التي يتناوب عليها الحرس في جميع الأوقات. ويحيط به من كل جانب طرق واسعة معدة بشكل جيد تربطه بمختلف مناطق العاصمة[56]. وقد تساءل ستانلي حول قيام هذا العاهل الإفريقي ببناء قصره على هذا الارتفاع، وبين أنه لو كان بربرياً مثل غيره من الأفارقة لسعى لبناء قصره في منحدر بعض التلال أو على شواطئ البحيرة حيث ترعى مواشيه، لكنه قام ببنائه على قمة التل لاهتمامه بسحر المشهد وجمال الطبيعة التي يشرف عليها قصره[57]. وكانت منازل الباغندا بشكل عام مزودة بجميع المرافق الصحية التي كانت موضع اهتمام خاص؛ للحفاظ على الطبيعة النظيفة، وهو نمط عام لدى جميع القبائل الزنجية الأخرى[58].

وبشكل عام وعلى خلاف الشائع عن الأفارقة من كونهم شعب كسول؛ فإن الباغندا شعب نشيط يعمل رجاله ونسائه بأعمال مختلفة. وتعد الموسيقى سمة بارزة في الحياة الاجتماعية لهذا الشعب، ويشهد على ذلك مجموعة كبيرة ومتنوعة من الآلات الموسيقية[59]. وأشاد بهذا الشعب كل من اتصل به من الرحالة والمبشرين، ولاحظوا تفوقهم بالنظام والانضباط على غيرهم من شعوب إفريقيا[60]، وتميزوا بحضارة خاصة بهم، وذكاء رائع، وعادات، وتقاليد، وآداب، ولغة شاملة مع مفردات هائلة تشير وحدها إلى تفوق إنجازاتهم الفكرية على عكس اللهجات البسيطة لجيرانهم، فضلاً عن حبهم للتعلم، وقدرتهم على تحقيق الإنجازات العالية[61]، إذا شهد ستانلي بقدرة معظم الحاضرين في بلاط الكاباكا على القراءة والكتابة بالحروف العربية، واستخدامهم لها لإرسال الرسائل بين بعضهم البعض أو مع الغرباء،[62] وتعلموا الكتابة بالحرف اللاتيني مع وصول الإرساليات التبشيرية المسيحية في سبعينيات القرن التاسع عشر. وتمتع الباغندا بتراث غني من التواريخ الشفوية والعشائرية، كما يوجد لديهم كم كبير من الأدب لا ينافسه في شرق إفريقيا سوى الأدب المكتوب باللغة السواحيلية[63].

[56] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p156. Burton, the Lake Regions of Central Africa. v2, p188. Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. P282.
[57] -Stanley, Through the Dark Continent. 1v, p158.
[58] -Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. 323.
[59] - Tucker, eighteen years in Uganda and east Africa. v1, p94,98.
[60] - Burton, the Lake Regions of Central Africa. v2, p196.
[61] - Stanly, H. and others. (1898). Africa its partition and its future. Dodd, mend and company, New York, p187-189.
[62] - Stanley, Through the Dark Continent. v1, p322.
[63] - Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p52, 137.

سادساً-الأوضاع الاقتصادية في مملكة بوغندا في عهد الكاباكا موتيسا:

تميزت مملكة بوغندا بجمال طبيعتها وغناها وخصوبة أراضيها، وكثافة وتنوع الغطاء النباتي فيها لاسيما المناطق القريبة من البحيرة، وانتشرت فيها الغابات التي نمت فيها أشجار الساج والتمر الهندي والصمغ والموز والتين، بينما كانت الأراضي المرتفعة مغطاة بالأعشاب وملائمة لرعي الماشية[64]، ورأى سبيك أنها تتفوق بجمال طبيعتها على البنغال وزنجبار[65].

كانت الزراعة أهم الأنشطة الاقتصادية في مملكة بوغندا، وكان الموز أهم المنتجات وشكل -ولا يزال- الغذاء الرئيسي لشعب الباغندا، ومنه كان يُصنع المشروب الأساسي "نبيذ الموز "، وكانت زراعة مساحة فدانين منه تكفي لإطعام عائلة كبيرة. وبسبب عدم إمكانية تخزينه قامت معظم الأسر بزراعة مساحات صغيرة بالبطاطا الحلوة كاحتياطي غذائي من جهة، ولضرورة التنوع في النظام الغذائي من جهة أخرى. كما قاموا بزراعة أنواعٍ مختلفة من الحبوب كالقمح والأرز والذرة والسمسم والدخن والذرة الرفيعة وقصب السكر والتبغ والبن. وقام فلاحوا الغاندا بالزراعة حتى في الحدائق المنزلية؛ إذ زرعوا الساحات الممتدة أمام منازلهم بالبطاطا الحلوة والحبوب المختلفة، فيما امتدت وراء المنزل وحوله مزارع الموز التي تتخللها أشجار التين التي صنعوا من لحائها قماشهم. وامتدت وراء المزارع سهول واسعة خصصوها لرعي الماشية والماعز الخاصة بهم[66]. وجاءت حرفة رعي الماشية بالمرتبة الثانية بعد الزراعة في الاقتصاد البوغندي، وكانت الأغنام نادرة إلى حد ما بينما وجدت الأبقار والماعز بكثرة وكذلك الدجاج. ولعب الصيد دوراً مهماً أيضاً لاسيما ما جاء من مياه الأنهار والبحيرة العظيمة، وساهمت التجارة في الأسماك المجففة مساهمة كبيرة في نظام بوغندا الغذائي وربما أيضاً في تطورها السياسي[67].

أما بالنسبة للصناعة في مملكة بوغندا؛ فلم تكن بأقل درجة من الزراعة، إذ عُرف عن الباغندا أنه شعب نشيط، فبينما قامت النساء بكل أعمال إنتاج الغذاء تقريباً من زراعة الحدائق وجمع الطعام للأسرة وصنع النبيذ، تفرغ الرجال لأنشطة أخرى كبناء المنازل

[64] - Stanley, Through the Dark Continent. v1, p315-317.
[65] -Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. 258.
[66] - Stanley, Through the Dark Continent. v1, p300, 315. Wrigley, Kingship and State. p60-61.
[67] - Wrigley, Kingship and State. p61.96 وايدنر، تاريخ أفريقيا جنوب الصحر. ج1، ص

وصيانتها وإقامة الأسوار التي كانت أنشطة روتينية متكررة، وكذلك صنع الأواني التي كانت نشاطاً ذكورياً، والعمل الشاق في صناعة الأقمشة والملابس من الجلد ولحاء شجرة اللبخ (التين)، وكانت تتم عن طريق إزالة لحاءها على شكل قطع كبيرة، ثم يقوم رب الأسرة بطرقها عدة ساعات بمطرقة محززة لتحويلها إلى ملابس ناعمة ومرنة، وإن كانت باهتة إلى حد ما، واستخدم هذا القماش كفراش وفي تغليف البضائع. وعمل الرجال في الحدادة أيضاً؛ وضاهت مصنوعاتهم ذات الجودة العالية المصنوعات الأوروبية، وكانت رماحهم الأكثر جودة ومثالية في أفريقيا. وعمل الرجال أيضاً في صناعة السلال، والخزافة، والدباغة، وصناعة الحصر، والدروع، وما إلى ذلك. وقام حرفيو الغاندا الماهرون بصنع قوارب لصيد الأسماك ولمحاربي الكاباكا تفوقت على كل أنماط الزوارق في الداخل الإفريقي[68].

ومن الدلائل التي تشير إلى تطور الصناعة الاستهلاكية عند الباغندا ما أنتجوه من نبات الموز وحده؛ إذ شكلت ثمرته الخضراء والناضجة طعامهم الرئيسي، وصنعوا من هذه الثمار نبيذهم، واستخدموا سعفه كقش للمنازل وأسيجة للمرفقات وفرش للأسرّة، واستخدموه كأغطية لحماية الحليب والماء وأوعية الطحين من الغبار والشوائب، وكمفارش للمائدة، وأغلفة للمنتجات من الأطعمة كاللحوم، والبيض، والأسماك وما إلى ذلك، وكملابس في المنازل أيضاً؛ فضلاً عن الظل البارد الذي توفره. واستخدموا السيقان في بناء الأسيجة الدفاعية، ووظفوها كبكرات لنقل الجذوع الثقيلة، ونقل الزوارق من نقطة إلى أخرى وفق ما تتطلبه استراتيجيات الحرب، وحولوا قلب الساق إلى إسفنج، واستخدموا ألياف الساق كسلاح، وصنعوا منها الحبال. وصنع منه الفلاحون الدروع، والصيادون الزوارق، وغيرها من الاستخدامات الأخرى، لذا يمكن القول إن الغاندا صنعوا من نبات الموز وحده كل ما يحتاجونه في حياتهم اليومية[69].

وبالإضافة إلى الزراعة والصناعة غلب على اقتصاد بوغندا الطابع التجاري أيضاً، فرغم الكثافة السكانية العالية كان فائض الإنتاج الزراعي (من الموز والحبوب) وافراً، وكان الجزء الأكبر من هذا الفائض للاستهلاك وليس للربح، ولم يكن موجه نحو السوق

[68] - Tucker, eighteen years in Uganda and east Africa. v1, p94-98. Wrigley, Kingship and State. p60-61. Stanley, Through the Dark Continent. v1, p321. Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p52.
[69] - Stanley, Through the Dark Continent. v1, p322-325.

العالمية، وإنما كان يتم مقايضته محلياً أو مع الممالك المجاورة التي ارتبطت مع بوغندا بشبكة تجارية واسعة عمادها المتاجرة بالأسماك المجففة، والملح، والجلود، والمعاول والسلع الحديدية الأخرى، والعاج، والماشية، وقماش اللحاء، والأسلاك النحاسية والحلي والمجوهرات التي كان يتم شراؤها غالباً بالعملة المحلية والأصداف بدلاً من مقايضتها عيناً مما يؤكد على قيام اقتصاد إقليمي مزدهر تركز في أسواق المدن التي خضعت للإشراف والضرائب من قبل السلطات المحلية، وأشار أمين باشا[70] إلى روباغا عاصمة بوغندا باعتبارها إحدى الأسواق الرئيسية الثلاثة في المنطقة في منتصف سبعينيات القرن التاسع عشر، لاسيما بعد تركزها قبالة مدخل بحيرة فيكتوريا بعد أن كانت متنقلة فيما سبق لضرورات تتعلق بالنزعة العسكرية وتوطيد السلطة السياسية[71].

ولم تقتصر تجارة بوغندا مع المحيط الإقليمي وإنما وصلت حتى الساحل وجزيرة زنجبار؛ فمع نمو التجارة بين زنجبار والداخل الإفريقي، وإقامتهم مستوطنة تجارية دائمة في تابورا (Tabora)[72] في إقليم نيامويزي في أربعينيات القرن التاسع عشر، واصلت القوافل التجارية للتجار العرب والسواحليين توغلها شمالاً حول الشاطئ الغربي لبحيرة فيكتوريا نحو كاراغوي ثم بوغندا نفسها، وأقاموا حي عربي دائم في عاصمتها منذ خمسينيات القرن التاسع عشر، وتلا ذلك نمو التجارة بين البلدين بشكل كبير. وأصبحت بوغندا التي تتمتع بموقع فريد على الطرف الشمالي الغربي لبحيرة فيكتوريا إحدى أهم الجهات التجارية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر حيث قامت بتصدير العبيد من أسرى الحروب والعاج مقابل تلقي أنواع مختلفة من الملابس والمجوهرات والأحجار الكريمة والأسلاك النحاسية والخرز والأسلحة النارية وغيرها من المواد المصنعة، وأضحت أساطيل بوغندا التجارية ترتاد الشواطئ الجنوبية للبحيرة بانتظام، وتتنافس مع طرق التجارة البرية، وسعى موتيسا للسيطرة على التجارة في غرب وجنوب بحيرة فكتوريا أو

---

[70]-أمين باشا (1840-1892): طبيب ومستكشف ألماني، اسمه الأصلي إدوارد شنيتزر. بدأ خدمته في القسطنطينية كمسؤول طبي في العام 1858، ثم دخل في خدمة الحكومة المصرية في العام 1875، حيث إرسل إلى السودان كمسؤول طبي تحت قيادة الجنرال غوردن، وعينه الأخير حاكماً للمديرية الاستوائية في العام 1878. عزل عن العالم الخارجي بعد سقوط الخرطوم بيد المهدي في العام 1885، فأرسلت حملة لإنقاذه بقيادة ستانلي في العام 1887 الذي نجح في الوصول إليه ورافقه حتى زنجبار. ودخل بعد ذلك في خدمة الحكومة الألمانية في شرقي إفريقيا، وقتل خلال قيامه باستكشاف منطقة بحيرة تنجانيقا في العام 1892. The encyclopedia Britannica. v9, p340-341

[71] - Reid, A history of modern Uganda. p201, 239.

[72]- تابورا: مدينة في تنزانيا تقع على مسافة 496 ميلاً غرب دار السلام، أقام فيها التجار العرب مستوطنة منذ العام 1820، وأصبحت واحدة من أهم مراكز التجارة في شرق أفريقيا على طول طريق القوافل الذي يربط بحيرة تنجانيقا وساحل المحيط الهندي. زارها ستانلي في العام 1871، وكانت تضم آنذاك أكثر من ألف كوخ، وقدّر عدد سكانها من العرب والسكان المحليين بنحو خمسة آلاف نسمة، وكان العرب في الغالب من عُمان والسواحلية يعيشون فيها بترف، ويزرعون السهول الخصبة التي تحيط بهم، ويربون قطعان كبيرة من الماشية. وينقل لهم العبيد من الساحل متاجرهم من الشاي والقهوة والسكر والتوابل والأقمشة والملابس التي يحتاجونها للاستخدام الشخصي. Stanley, H. (1872). How I Found Livingstone, Travels, Adventures and Discoveries in Central Africa. Sampson Low, Marston & Company, London, p193-194. Ofcansky, T., Yeager, R. (1997). Historical Dictionary of Tanzania. 2 Ed, The Scarecrow Press, Inc. London. P171.

على الأقل ضمان أمن القوافل في المنطقة بالتحالف مع عرب تابورا ضد زعيم نياموبزي ميرامبو[73] في أوائل ثمانينيات القرن التاسع عشر، وحقق ذلك من خلال الدبلوماسية بدلاً من القوة المسلحة، وبهذه الطريقة قام كاباكا موتيسا ببناء مخزونه من الأقمشة والأسلحة النارية التي استخدمها في تسليح الجيوش، وزيادة التوسع الإقليمي، والاستيلاء على العبيد حتى بلغت هذه التجارة ذروتها في سبعينيات وثمانينيات القرن التاسع عشر،[74] وقدر ألكسندر ماكاي[75] حجمها بحوالي 2000 عبد ينقلون سنوياً عبر البحيرة، دون احتساب ما كان ينقل براً عبر كاراغوي، استولى عليهم الغاندا من الممالك المجاورة، لاسيما أونيورو وبوسوغا، واحتفظوا ببعضهم للاستخدام المنزلي لاسيما النساء، في حين باعوا الباقي لتجار الساحل. وتوسعت هذه التجارة حتى أضحت العبودية نظاماً اقتصادياً راسخاً في منطقة البحيرات الكبرى. وكان لهذه التجارة الأثر الكبير في التطور الاقتصادي والسياسي لبوغندا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر، ومثّلت أحد الدعائم الأساسية للاقتصاد الأوغندي قبل السيطرة الاستعمارية[76].

سابعاً– الأوضاع الدينية في مملكة بوغندا في عهد الكاباكا موتيسا:

لا يمكن الحديث عن أي جانب من جوانب حياة الشعوب الإفريقية دون التطرق للجانب الديني لما له من أهمية في حياة هذه المجتمعات فعلى حد قول دلافوس في كتابه تاريخ وحضارات الزنوج "**ما من نظام يشاهد بين قبائل أفريقيا السوداء سواء كان نظاماً اجتماعيا أو سياسياً أو اقتصادياً إلّا وكان يرتكز على فكرة دينية أو أن الدين هو حجر الزاوية فيه**".[77] وفيما يخص بوغندا كانت عبادة لوباري هي الديانة السائدة فيها قبيل وصول الإسلام والمسيحية إليها في القرن التاسع عشر، وتُعد أقدم معتقد ديني

[73]– ميرامبو: زعيم إقليم نياموبزي في تنزانيا الحالية، اسمه الحقيقي متيلا كاسندا، أطلق على نفسه الاسم الحربي ميرامبو في العشرين من عمره، وبدأ بشن الهجمات المتكررة على القوافل العربية، وهاجم في العام 1871 تابورا التي تعد التجمع الرئيسي للعرب في الداخل الإفريقي، وأحرق معظم دورها، وأستولى على مخازن كبيرة من العاج، كما أوقع في كمين أحد أبرز سكانها وهو التاجر العماني خميس بن عبدالله. وأمتد نفوذه من شواطئ بحيرة فكتوريا إلى الأطراف الجنوبية لبحيرة تنجانيقا، وتركزت عاصمته في أورامبو التي يقطنها عدة آلاف من السكان، وتوصل ميرامبو بعد ذلك إلى هدنة مع العرب، ومع ذلك كان باستطاعته عندما يرغب أن يجمع جيش قوامه سبعة آلاف رجل من أونياموبزي، وكانت وفاته في العام 1884. هول، ريتشارد. (1999). إمبراطوريات الرياح الموسمية. ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي، ص620–622.

[74] - Reid, A history of modern Uganda. p193, 194, 201. Maxon, east Africa, an introductory history. p118. Oliver, Atmore, Africa since 1800. p96.

[75] - ألكسندر ماكاي(1849–1890): من المبشرين البارزين في جمعية الكنسية التبشيرية، جاء إلى شرق إفريقيا مع أول حزب متجه إلى أوغندا، واستخدم مهاراته الهندسية في إنشاء مطبعة لطباعة أجزاء الكتاب المقدس، وفي إصلاح البنادق، وبناء القوارب وصيانتها للكاباكا موتيسا. وكان خلال إقامته يزور قصر كاباكا يومياً لإقامة الصلاة وتعليم المسيحية، وكان محاطاً دائماً برؤساء وشباب من العائلة الملكية يتعلمون القراءة، وشارك في المناقشات الدينية التي أقامها الكاباكا. وأصبح ماكاي المبشر الوحيد في بوغندا بعد حادثة إعدام المسيحيين، ثم طرد منها بأمر من الكاباكا موانجا في 1887، حيث استقر به المقام في أوسامبيرو وعمل هناك على ترجمة أجزاء من العهد الجديد إلى لوغندا، وكان وراء كتاباتها بالحرف الروماني بدلاً من العربي، وتوفي في أوسامبيرو فجأة ودفن فيها في العام 1890.. Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p232-233

[76] - Reid, A history of modern Uganda. p211-213.

[77] - Delafosse, M. (1931). The negroes of Africa history and culture. The associated publishers. Washington, D. C, p216.

فيها، ولكن لا يُعرف الكثير عن أسسها ونشأتها، ويفترض توكر[78] "أنها كانت على اتصال بالمسيحية في وقت من الأوقات بدليل وجود يوم راحة للإنسان في اليوم السابع، وشهر راحة للأرض كل سبعة أشهر، والاحتفال بمراسم لا تختلف عن المعمودية عند سكب الزيت على رؤوس الأطفال الصغار وتسميتهم، وإيمانهم بكائن أسمى – خالق للإنسان والعالم، وما إلى ذلك".[79] وعرف الإله الخالق للإنسان والعالم في معتقدات الباغندا بمسميات مختلفة مثل (Katonda) أي "الخالق"، و(Lugaba) أي "المانح" و(Ssebintu) أي "سيد كل شيء" وغير ذلك من المسميات، وأورده سبيك في رحلاته باسم لوباري. وفي سؤاله للكاباكا موتيسا عن مكان إقامته كانت إجابة موتيسا بالإشارة إلى السماء، مما يدل على أن الباغندا قد عرفوا عبادة الإله الواحد وإن جاء بمسميات محلية مختلفة. ولكن على الرغم من وجود مفهوم الإله الأسمى في الفكر الديني القديم للغاندا إلّا أن صعوبة التواصل معه دفعتهم للإيمان ببعض الآلهة المحلية؛ التي كانت مزيجاً من أرواح بعض الشخصيات الأسطورية والقادة والأبطال والمحاربين ممن قاموا بأدوار مميزة في مجتمعاتهم، وأفضل مثال على هؤلاء الأبطال هم كيبوكا وشقيقه موكاسا؛ إذ اشتهر الأول بمهاراته القتالية غير العادية فأصبح راعياً للحروب بينما عرف الثاني بالذكاء؛ فأصبح إله الخصوبة والبحيرات أو الكاهن الرئيس لمنبع النيل العظيم، وغيرهم ممن يتحكمون في الرعد والبرق، والجدري، وما إلى ذلك.[80] وكانت هذه الآلهة مع مزاراتها وكهنتها متجذرة لدى عشائر معينة فقط تتنافس على النفوذ في المملكة لا سيما من خلال تقديم الزوجات للملك على أمل أن تكون إحداهن أماً للكاباكا التالي[81].

وعرف الباغند أيضاً عبادة الأسلاف وتبجيلهم، إذ آمنوا باستمرار الحياة بعد الموت، واعتقدوا بأن الأجداد قادرين على التأثير على حياتهم من خلال ضمان الثروة والازدهار للإنسان والأرض، ورعاية الأسر وحمايتها من الأمراض وهجمات الأرواح الشريرة أو إلحاق الضرر

[78]- المطران ألفريد توكر (1849-1914): عضو جمعية الكنسية التبشيرية، وثالث أسقف لإفريقيا الشرقية الاستوائية. زار بوغندا عام 1891 و 1893، وكان حريصاً على أن تصبح محمية بريطانية، وغطت سنوات أسقفيته فترة التوسع الكبير للمسيحية البروتستانتية في جميع أنحاء أوغندا. تقاعد لأسباب صحية في العام 1911، وتوفي في العام 1914. Pirouet, Historical dictionary of Uganda. P346.

[79] - Tucker, eighteen years in Uganda and east Africa. v1, p84-85.

[80] - Mulambuzi, F. (1997). beliefs in ancestral spirits: interpreting contemporary attitudes of the Baganda to the ancestors, Master of Arts in the Department of Religious Studies, University of Natal, p16-18. Tucker, eighteen years in Uganda and east Africa. v1, p84. Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. 364, 390.

[81] - Robinson, Muslim Societies in African History. p156.

بهم في حال إهمالهم لرعايتهم؛ لذلك احتوى كل منزل في بوغندا على كوخ لأسلاف العائلة حيث يتم تقديم الطعام والشراب، وتكريس بعض الحيوانات كالأبقار والماعز والأغنام وغيرها لأسلاف الأسرة من أجل استرضائهم. وكان من المعتاد أن يجتمع أفراد الأسرة أو العشيرة مرة كل عام أو عامين لتكريم أسلافهم المتوفين، ويستجيب الأجداد من خلال توفير الحماية لأقاربهم ومساعدتهم في احتياجاتهم اليومية. وهناك اعتقاد بأن الأسلاف يمكن أن يغضبوا ويتم التعبير عن غضبهم من خلال إلحاق الأمراض أو الموت بالناس أو العقم أو فقدان المحاصيل الزراعية وما إلى ذلك. وآمن الباغندا أيضاً بعبادة بعض الكائنات الطبيعة كالصخور والجداول والأشجار والحيوانات. وشاع بينهم وجود متخصصون دينيون كالعرافين ووسطاء الروح؛ وهؤلاء مهمون للغاية فيما يتعلق بمعاملات الناس مع الأجداد.[82] وكان للسحر مكانة هامة بين سكان بوغندا حتى أن موتيسا كان يغلق على نفسه في أول ظهور للقمر الجديد من كل شهر؛ يتأمل ويرتب القرون السحرية –قرون الحيوانات البرية المحشوة بالسحر– لمدة يومين أو ثلاثة أيام، ويرافق ذلك بعض الاحتفالات. كما كان يربط كل جديد يراه بالسحر كما هو الحال مع بوصلة سبيك والأسلحة النارية [83]. وبسبب ارتباط الآلهة المحلية وكهنتها بعشائر معينة كانت تنافس الملوك المتعاقبين على السلطة؛ سعى الأخيرين إلى تقليص نفوذها قدر الإمكان، وجاءت الفرصة المناسبة مع ظهور التجار العرب والسواحليين في منتصف القرن التاسع عشر الذين حملوا معتقداتهم الإسلامية معهم خلال بحثهم عن العاج والعبيد. وتشير المصادر إلى أن وصولهم إلى مملكة بوغندا كان في عهد الكاباكا سونا في العام 1844 تقريباً. وأقام هؤلاء التجار علاقات وثيقة مع السكان المحليين، وسرعان ما استقروا في القصر أو بالقرب منه وبدأوا بالتدريس وقراءة القرآن للملك. ومع تولي موتيسا الحكم في أواخر خمسينيات القرن التاسع عشر وجد في الدين الإسلامي عنصراً مهماً في استراتيجيته فسهل نشر هذا الدين الجديد، وعزم على اعتباره الدين الرسمي للدولة للحد من سلطة الكهنة والوسطاء التقليديين؛ فشجع مسؤوليه وأتباعه على اعتناق الإسلام، وأقبل بنفسه على تعلمه[84]. وبحلول منتصف ستينيات القرن التاسع عشر أصبح جل بلاطه مسلماً، وداوم على صيام شهر رمضان، والاحتفال بالأعياد الإسلامية، وارتدى الثوب العربي، وبنى مسجداً كبيراً في عاصمته، وأقام فيه صلاة الجمعة برفقة قادته ورؤسائه، ووصل

[82] - Mulambuzi, beliefs in ancestral spirits. P1,19, p23,28,29

[83] -Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile. 253.

[84] - Low, Fabrication of Empire the British and the Uganda Kingdoms 1890–1902. p60. Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p29. Robinson, Muslim Societies in African History. p158. النقيرة، محمد عبدالله. (1982). انتشار الإسلام في شرقي إفريقيا ومناهضة الغرب له. دار المريخ للنشر. الرياض. ص240

الإسلام في بلاده إلى ذروته في العام 1875 عندما أمر موتيسا جميع رعاياه باتباع الإسلام[85]. ولكن بوصول ستانلي إلى بوغندا في العام 1876، سعى جاهداً لتحويل موتيسا إلى المسيحية، وترجم له نسخة من الكتاب المقدس إلى اللغة السواحلية، وساهم في ذلك لينانت دي بلفون (Linant de Bellefonds) مبعوث غوردون باشا الذي وصل إلى بوغندا في نفس الوقت، وأرسل معه ستانلي رسالة إلى الديلي تلغراف ونيويورك هيرالد وغيرها من المجلات الإنجليزية والأمريكية بتاريخ 14 أبريل 1875؛ تضمنت نداء لإرسال بعثة مسيحية إلى موتيسا، مفاده أن مملكة بوغندا تشكل بيئة مناسبة للتبشير بالمسيحية، وأن موتيسا سيرحب بالمبشرين المسيحيين. وعلى الرغم من اهتمام موتيسا بالدين إلّا أن اهتمامه الأساسي تركز في تأمين موقفه ضد التهديد المصري الذي شكل كابوساً له في سبعينيات القرن التاسع عشر، ووجد ضالته في التحالف مع الأوروبيين بسبب تفوق أسلحتهم النارية[86].

وجاءت على إثر تلك الرسالة موجات المبشرين المسيحيين إلى بوغندا، وكان أول الواصلين المبشرين البروتستانت من جمعية الكنسية التبشيرية (Church Missionary Society)[87] في العام 1877، ثم تلاهم الآباء البيض الكاثوليك في العام 1879، واستمع موتيسا لكليهما وقربهما من بلاطه، ورغم ابتعاده عن المسيحية لكنه لم يمنع رعاياه من الانخراط في الدين الجديد مما منح المبشرين فرصة استثنائية لتجنيد أتباعه علانية. وبحلول وقت وفاته في العام 1884 جمع كلا المذهبين أعداداً كبيرة من المتحولين، وساهموا بالإضافة إلى الإسلام في تقليص دور ديانة لوباري المحلية إلى حد كبير، وانتهى الأمر بتقسيم البلاد إلى معسكرات متنافسة مهدت لعقد من الحرب الأهلية[88].

[85] - Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p270-271. Robinson, Muslim Societies in African History. p159.

[86]-Stanley, Through the Dark Continent. v1,p158-164.Pirouet, Historical dictionary of Uganda. p271. Peers, Armies of the nineteenth century. p213.

[87]– جمعية الكنسية التبشيرية: تأسست في لندن في العام 1799 باسم جمعية الإرساليات إلى إفريقية والشرق، وتعد أول الهيئات البروتستانتية الإنجليزية التي اهتمت بالتبشير في إفريقيا الشرقية والوسطى. أنشأت أول مركز تبشيري لها في راباي بالقرب من ممباسة في العام 1844، وتركز نشاطها في البداية في ممباسة ثم امتد إلى مختلف مناطق شرقي أفريقيا، وكان لها دور كبير في نشر المسيحية فيها. النقيره، انتشار الإسلام في شرقي إفريقيا، ص344–346.

[88] -Low, Fabrication of Empire the British and the Uganda Kingdoms 1890–1902. p62-64. وايدنر، تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء. ج1، ص 218–217

الخاتمة:

كان القرن التاسع عشر بالنسبة لمملكة بوغندا عصر التجارة والبضائع والأفكار والأديان الجديدة التي زعزعت كيان هذه المملكة وأحدثت انقلاباً كبيراً فيها، وساهمت في تغيير كثير من ملامح الحضارة التي كانت قائمة فيها على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وجاء ذلك كنتيجة لانفتاح الكاباكا موتيسا، ومن قبله والده سونا على المحيط الإقليمي والدولي، وترحيبه بهذه المؤثرات الجديدة ودفع رعاياه لتقبلها والانخراط فيها، فعرفت المملكة بموجب ذلك أنواعاً مختلفة من الأقمشة والحلي والأسلحة النارية، وأنواعاً جديدة من المزروعات التي أدخلها العرب والسواحليون إلى المملكة لأول مرة، كما عرفت المملكة الأديان السماوية بداية مع الإسلام منذ أربعينيات القرن التاسع عشر ثم المسيحية بمذهبيها البروتستانت في العام 1877، والكاثوليك في العام 1879، والتي أحدثت انقلاباً كبيراً في المملكة، وساهمت في تقليص دور عبادة لوباري المحلية إلى حد كبير، وأدت إلى انقسام المجتمع إلى فرق مذهبية متنافسة على السلطة والنفوذ. وكان في ذلك سياسة مقصودة من قبل موتيسا لتخفيف الضغوط الكبيرة الواقعة على مملكته لاسيما من الجانب المصري في الشمال في سبعينيات القرن التاسع عشر مما دفعه لتشجيع قدوم المبشرين الأوروبيين إلى بلاده، واستطاع موتيسا بتلك السياسة الموازنة بين القوى المتنافسة على مملكته فحافظ على وحدتها وكيانها حتى وفاته في العام 1884، ولكنها أدت في عهد خليفته وابنه موانجا إلى حرب أهلية بين أتباع الأديان المختلفة استمرت قرابة العقد من الزمن، وانتهت بوقوع المملكة تحت الحماية البريطانية في ذروة التنافس الاستعماري على المنطقة في العام 1894.

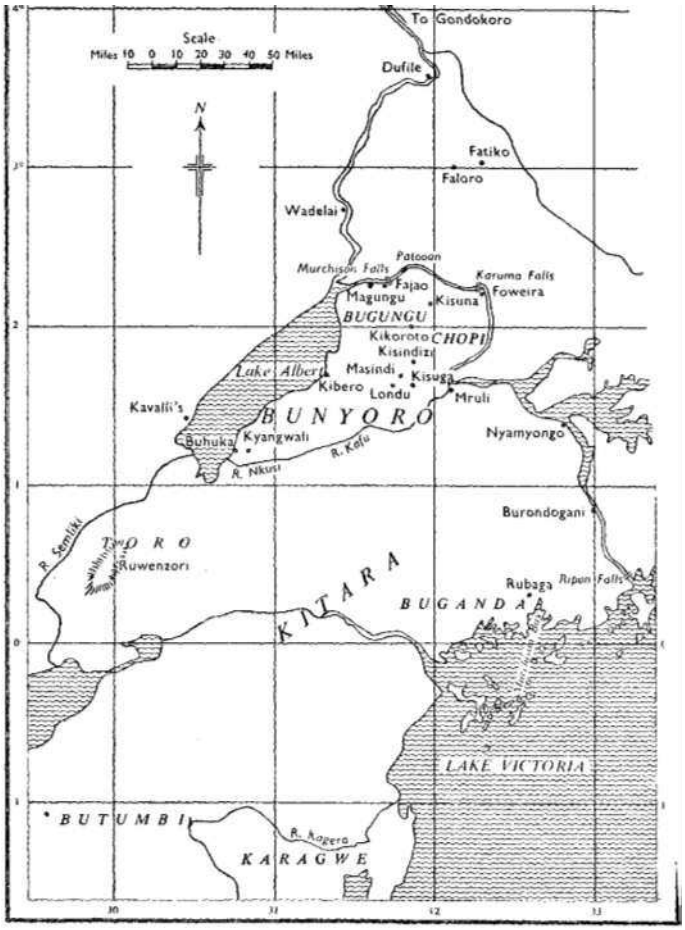
وأكدت هذه الدراسة من جانب آخر على تطور مستوى النظام السياسي والاجتماعي والقانون القائم في هذه المملكة وأهمية الصناعات القائمة فيها والتي كانت تضاهي مثيلاتها في الدول الأوروبية في ذلك العصر مما ينفي ادعاءات الأوروبيين بخصوص القارة الإفريقية من كونها بلا تاريخ أو حضارة وأن سكانها مجرد برابرة وهمج لا أثر للتمدن بينهم، ورغم اعترافهم أي الأوروبيون وإعجابهم بوجود مثل هذا النظام في وسط إفريقيا في منطقة بعيدة عن المؤثرات الخارجية إلّا أنهم حاولوا إنكار أصالة هذا النظام، وأرجعوا أصوله إلى تأثيرات العناصر الخارجية. ومهما كانت كتابات هؤلاء الرحالة متحيزة، فإنهم وسعوا معرفة أوروبا والعالم أجمع بأفريقيا من خلال وصفهم للأنظمة السياسية القائمة فيها، وأنشطتها الاقتصادية ومؤسساتها الاجتماعية والثقافية، ومهدوا أيضاً من خلال كتاباتهم للاستعمار الأوروبي للقارة الإفريقية في نهاية المطاف.

التمويل : هذا البحث ممول من جامعة دمشق وفق رقم التمويل (501100020595).

Funding: this research is funded by Damascus university – funder No. (501100020595).

ملحق رقم (1) خريطة توضح حدود مملكة كيتارا القديمة.

Dunbar, A History of Bunyoro-Kitara, p52.





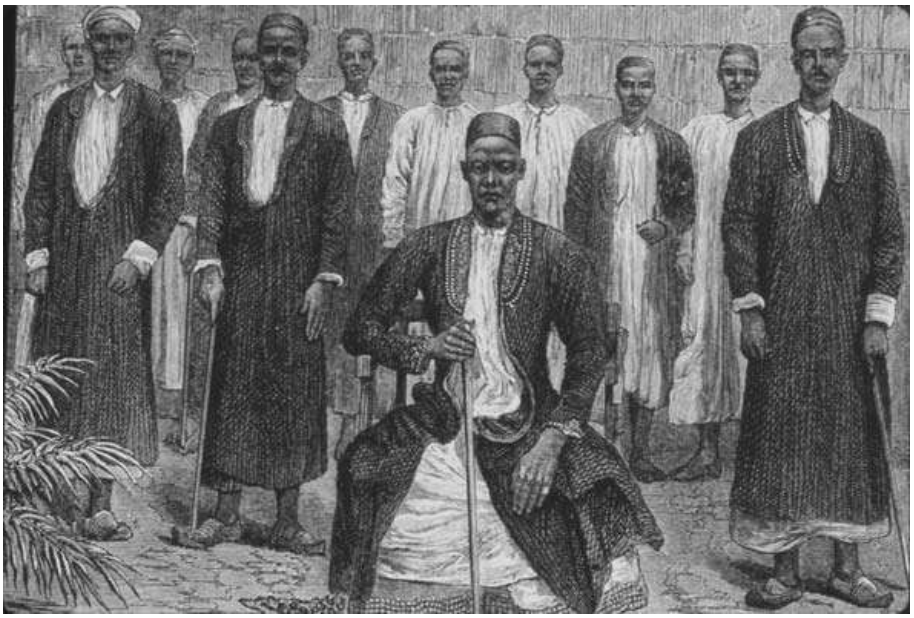
ملحق رقم (2) خريطة توضح حدود مملكة بوغندا وتوسعاتها والممالك المجاورة لها.

Maxon, east Africa, an introductory history, p86



ملحق رقم (3) صورة للكاباكا موتيسا كم وصفه سبيك في العام 1862

Speke, Journal of Discovery of the Source of the Nile, p285



ملحق رقم (4): صورة للكاباكا موتيسا وحاشيته وفق ما وصفه ستانلي في العام 1875

Robinson, Muslim Societies in African History, p159.

المراجع (References):

1- وايدنر، دونالد. (1976). تاريخ أفريقيا جنوب الصحراء. ترجمة علي أحمد فخري والدكتور شوقي عطا الله الجمل، مؤسسة سجل العرب، مؤسسة فرانكلين، القاهرة. ج1.

2– النقيرة، محمد عبد الله. (1982). انتشار الإسلام في شرقي أفريقيا ومناهضة الغرب له. دار المريخ للنشر. الرياض.

3– هول، ريتشارد. (1999). إمبراطوريات الرياح الموسمية. ط1، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية، أبو ظبي.

4- Burton, Richard F. (1860). the Lake Regions of Central Africa. Longman, Green, Longman and Roberts. London. v2.

5- Delafosse, Maurice (1931). The negroes of Africa history and culture. The associated publishers. Washington, D. C.

6- Dunbar, A. R. (1965). A History of Bunyoro-Kitara. East African Institute of Social Research, Oxford University Press. London.

7- Johannessen, Cathrine (2006). Kingship in Uganda the role of the Buganda kingdom in Ugandan politics. Michelsen institute.

8- Johnston, Harry. A History and description of the British empire in Africa. national society's depository. London.

9- Low, D. A. (2009). Fabrication of Empire the British and the Uganda Kingdoms 1890–1902. Cambridge University Press. Cambridge.

10- Maxon, Robert M. (2009) east Africa, an introductory history. 3rd ed. West Virginia University Press, Morgantown.

11- Mulambuzi, Francis Xavier (1997). beliefs in ancestral spirits: interpreting contemporary attitudes of the Baganda to the ancestors. Master of Arts in the Department of Religious Studies, University of Natal.

12- Oliver, Roland. Atmore, Anthony. (2005). Africa since 1800. 5ed. Cambridge University Press.

13- Ofcansky, Thomas P., Yeager, Rodger. (1997). Historical Dictionary of Tanzania African Historical Dictionaries; No. 72. 2 Ed, The Scarecrow Press, Inc. London.

14- Peers, Chris. (2003). Armies of the nineteenth century: east Africa, Tribal and Imperial armies in Uganda, Kenya, Tanzania and Zanzibar 1800 to 1900. foundry publication. Nottingham.

15- Pirouet, Louise. (1995). Historical dictionary of Uganda. The Scarecrow Press. Metuchen.

16- Reid, Richard J. (2017). A history of modern Uganda. First published. Cambridge University Press. Cambridge.

17- Robinson, David. (2004). Muslim Societies in African History. Cambridge University Press. Cambridge.

18- Speke, John Hanning. (1864). Journal of the Discover of the Source of the Nile. Harper brothers' publishers. New York.

19- Stanley, Henry M. (1899). Through the Dark Continent. George Newness. London. v1.

20- Stanly, Henry M. and others, (1898) Africa its partition and its future, Dodd, mend and company, New York.

21- Stanly. Henry M. (1872). How I Found Livingstone, Travels, Adventures and Discoveries in Central Africa. Sampson Low, Marston & Company, London.

22- The encyclopedia Britannica a dictionary of art, sciences, literature and general information (1911). 11 ed, New York, v25.

23- Tucker, Alfred R. (1908). eighteen years in Uganda and east Africa. Edward Arnold publisher. London. v1.

24- Wrigley, Christopher, (1996) Kingship and State: The Buganda Dynasty. Cambridge University Press. Cambridge.